جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508
volume8, Issue1, March 2022
الإصدار الثامن، العدد الأول، مارس 2022

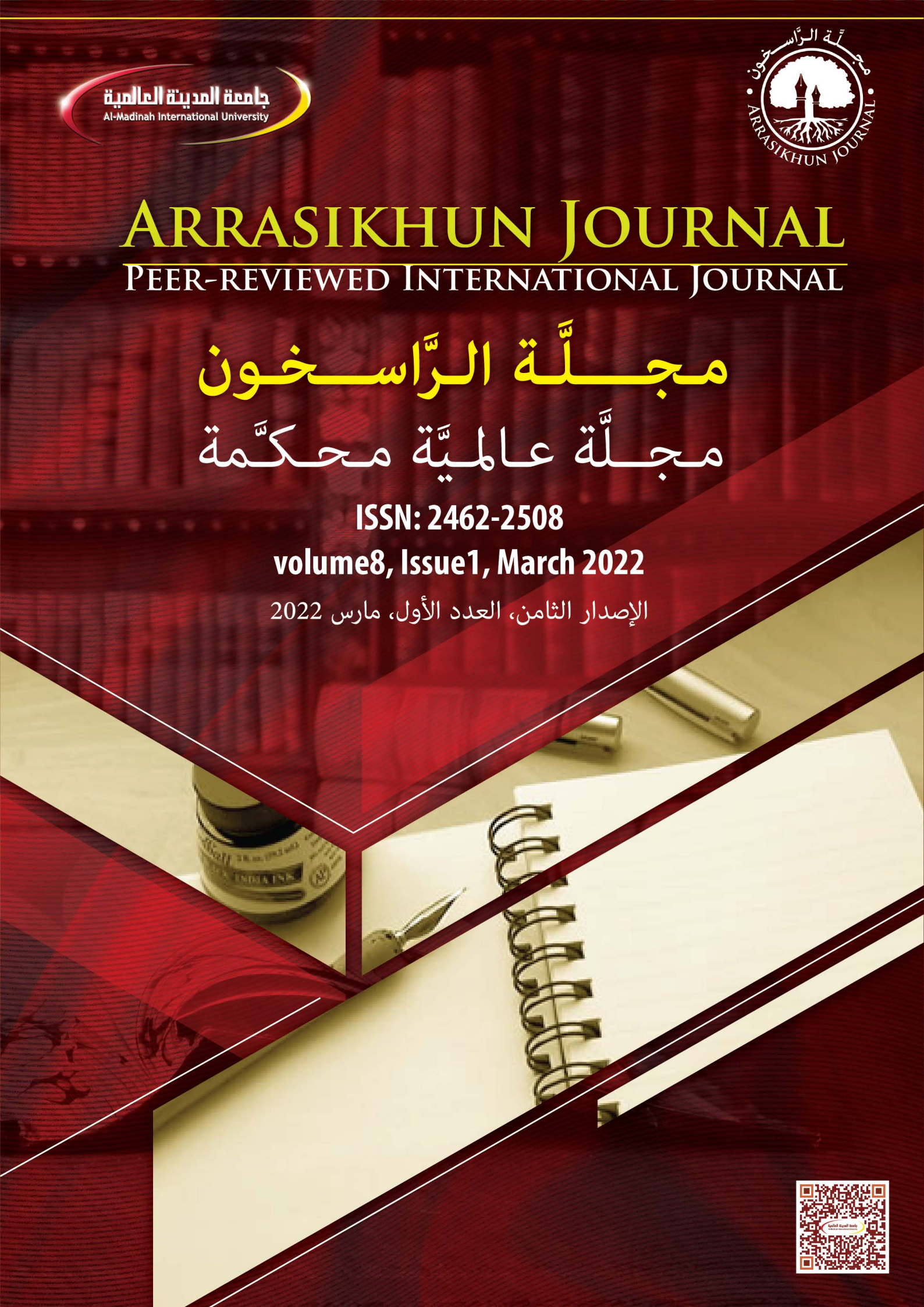

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار الثامن، العدد الأول، مارس 2022

أولًا: الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1. الاقتصار على القراء العشر: مفهومه، ومراحله، وأسبابه، وأثره على القراءات	23-1
2. مفهوم اختلاف التنوع في ضوء الثقافة الإسلامية	34-24
3. درء ظاهرة التعارض بين أحاديث حكم تبييت نية الصيام	51-35
4. حديث النبي ﷺ (أربعة يحتجون يوم القيامة): دراسة دعوية عقدية	79-52
5. تعريف العلة عند الأصوليين الحنابلة	111-80
6. ترك المشروع إذا صار شعارًا للمبتدعة: دراسة تأصيلية استقرائية تطبيقية	139-112
7. العدول عن الخطبة وأثره بين الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية السوداني (دراسة تحليلية)	160-140
8. واجبات الداعية وصفاته من خلال كتاب الترغيب والترهيب للمنذري (من أول كتاب البر والصلة إلى نهاية كتاب الأدب)	181-161
9. أخلاق القيادة النبوية في الحرب	210-182
10. علو الهمة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى دراسة تحليلية	226-211
11. الجهود الدعوية للشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله (تأصيلًا وتطبيقًا)	254-227
12. أثر الفكر السياسي في تحريف العقيدة النصرانية: المجامع المسكونية من عام 325م-451م أنموذجًا ...	276-255
13. موقف الفلاسفة من الانتحار: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية	314-277

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

نائب رئيس المجلة: الأستاذ المشارك الدكتور/ الطيب مبروكي

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله يوسف

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ أشرف زاهر محمد سويفي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ حساني محمد نور
- الأستاذ الدكتور/ خالد حمدي عبد الكريم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي سيد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد الحلواني
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد أحمد عبد المطلب عزب
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الرحمن إبراهيم سلامة
- الأستاذ المشارك الدكتور/ منصور محمد أحمد يوسف
- الأستاذ المشارك الدكتور/ مهدي عبد العزيز
- الأستاذ المشارك الدكتور/ نادي قبيصي البدوي سرحان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله النجار

Arrasikhun Journal، Volume 8، Issue 1، March 2022

ISSN: 2462-2508

حديث النبي ﷺ (أربعة يحتجون يوم القيامة): دراسة دعوية عقدية

د. مواهب بنت علي منصور فرحان

أستاذ العقيدة المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

mamfarhan@uqu.edu.sa

الملخص

هذا البحث بعنوان حديث النبي صلى الله عله وسلم (أربعة يحتجون يوم القيامة)دراسة دعوية وعقدية

يتناول البحث المحاور التالية:

- المقدمه وفيها بيان أهمية الموضـــوع ومنهج البحث والدراســـات الســـابقة وخطة البحث وهي على النحو التالي:
- المبحث الأول: نص الحديث ودرجته وشرحه

المطلب الأول: نص الحديث وبيان طرقه المطلب الثاني: حكم الحديث

المطلب الثالث: غريب الحديث المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للحديث

- المبحث الثاني: المسائل الدعوية الواردة في الحديث

المطلب الأول: مسألة وجود أهل الفترة

المطلب الثاني: بيان أهمية دعوة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه

- المبحث الثالث: المسائل العقدية الواردة في الحديث

المطلب الأول: حكم أهل الفترة المطلب الثاني: حكم الصم والبكم

المطلب الثالث: حكم الأطفال الذين ماتوا قبل التكليف المطلب الرابع: حكم الهرم والأحمق

- المطلب الخامس: عدم وقوع العذاب إلا بعد قيام الحجة
- الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع

Summary

This research is entitled The Hadith of the Prophet (Peace be upon Him) (four protesting on the Day of Resurrection) a da'wa and a contract study

The research deals with the following themes:

1. The introduction contains a statement of the importance of the topic، the research methodology، previous studies and the research plan، which are as follows:
2. The first topic: the text of the hadith and its degree and explanation
3. The first requirement: the text of the hadith and the statement of its ways
4. Demand 2: The Rule of Hadith
5. Demand 3: Strange Talk
6. Demand 4: The total meaning of the conversation
7. The second topic: the advocacy issues contained in the talk
8. The first requirement: the question of the existence of the people of the period
9. The second demand: to show the importance of inviting the apostles to them the prayers of God and his peace
10. The third topic: the streptococcal issues contained in the talk
11. The first requirement: the rule of the people of the period
12. The second requirement: the rule of the deaf and dumb
13. Demand 3: Ruling on children who died before commissioning
14. The fourth requirement: the rule of the pyramid and the fool
15. The fifth demand: that the torment not occur until after the argument
16. The conclusion has the most important results
17- Proven sources and references

المقدمة

إن الحمد لله نحمده نستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا اشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله..... أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فهذان هما المصدران الرافدان لكل ما يحتاجه الإنسان ليحقق سعادته في الدنيا والآخرة، ومهما ابتغينا العزة في غيرهما أضلنا الله، ومن هذا المنطلق فقد اهتمت الأمة بنصوص الكتاب والسنة حفظا وفهما ودراسة وتصنيفا وضبطا. وهذا البحث يتناول دراسة حديث لرسول الله ﷺ تناول موضوعا دقيقا في بيان مصير من لم تبلغه دعوة الرسل على اختلاف ظروفهم، وبيان أحوالهم ومصيرهم وفق منهج أهل السنة والجماعة.

أسال الله التوفيق في هذا البحث، وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه كما يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

أهمية البحث:

تتضح أهمية هذا البحث في كونه يناقش قضية عقدية دعوية مهمة وهي قضية من لم تبلغه دعوة الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه مع أهميتها وكونها طريقا للنجاة في الدنيا والآخرة، وما يترتب على ذلك من مصير في الآخرة وفق عدل الله تبارك وتعالى وفضله وإحسانه.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي في دراسة حديث النبي صلى الله عليه وسلم واستنباط المسائل الدعوية والعقدية من هذا الحديث الشريف.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان حكم الذين لم تبلغهم دعوة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ولم تبلغهم الرسالة، وانغلقت عليهم مصادر الدعوة والعلم والمعرفة، وماهو مصيرهم في الآخرة.

الدراسات السابقة:

لم أقف فيما بحثت من مراجع عن دراسات سابقة تناولت شرح هذا الحديث النبوي شرحا عقديا مفصلا يتناول فيه المسائل العقدية والدعوية في الحديث، وغالب ما وجدته يتناول أطرافا من بعض المسائل المتعلقة بالبحث ومن ذلك رسالة علمية بعنوان الآثار الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم (رسالة ماجستير بجامعة أم القرى) للطالب مروان حمدان وقد تناول فيها الباحث مسئلة أهل الفترة بالتفصيل وأما هذا البحث فيتناول الدراسة العقدية والدعوية للموضوعات التي تضمنها هذا الحديث الشريف

يتكون هذا البحث من مقدمة ثلاثة مباحث وعدد من المطالب وخاتمة وثبت للمراجع وهو على النحو التالي:

المقدمة

المبحث الأول: نص الحديث ودرجته وشرحه

المطلب الأول: نص الحديث وبيان طرقه

المطلب الثاني: حكم الحديث

المطلب الثالث: غريب الحديث

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للحديث

المبحث الثاني: المسائل الدعوية الواردة في الحديث

المطلب الأول: مسألة وجود أهل الفترة

المطلب الثاني: بيان أهمية دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

المبحث الثالث: المسائل العقدية الواردة في الحديث

المطلب الأول: حكم أهل الفترة

المطلب الثاني: حكم الصم والبكم

المطلب الثالث: حكم الأطفال الذين ماتوا قبل التكليف

المطلب الرابع: حكم الهرم والأحمق

المطلب الخامس: عدم وقوع العذاب إلا بعد قيام الحجة

الخاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول: نص الحديث ودرجته وشرحه

المطلب الأول: نص الحديث

عن الأسود بن سريع[1] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أربعةٌ يحتجونَ يومَ القيامة: رجلٌ أصمٌ لا يسمعُ شيئاً، ورجلٌ أحمقٌ، ورجلٌ هرمٌ، ورجلٌ ماتَ في فترةٍ، وأما الأصمُ فيقولُ: ربّ ! لقدْ جاءَ الإسلامُ وما أسمعُ شيئاً، وأما الأحمقُ فيقولُ: ربّ ! لقدْ جاءَ الإسلامُ و الصبيانُ يحذفونني بالبعرِ، وأما الهرمُ فيقولُ: ربّ ! لقدْ جاءَ الإسلامُ وما أعقلُ شيئاً، وأما الذي ماتَ في الفترةِ فيقولُ: ربّ ! ما أتاني لكَ رسولٌ، فيأخذَ مواثيقهُم ليطيعنَّه، فيرسلُ إليهم أنِ ادخلوا النّار ! فمنْ دخلها كانتْ عليهِ برداً وسلاماً، ومنْ لمْ يدخُلها يُستجرُّ إليها)[2].

(1) الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس، من بني تميم السعدي الشاعر المشهور، صاحب رسول الله، توفي سنة 42 هـ. انظر ابن حجر، ابن حجر العسقلاني،،الإصابة في تمييز الصحابة، ط.د،مصر،1358-1939م: 1 / 59، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر،،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مصر، 1358هـ-1939م: 1 / 72 بهامش الإصابة.

(2) الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، ط.د، مؤسسة قرطبة، ت.د: 4 / 24 و رواه عن طريق أبي هريرة مثله، وابن حبان، محمد بن حبان الدارمي، صحيح ابن حبان، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993م، تحقيق شعيب الأرنؤوط: 16 / 356 واللفظ له، وأخرجه البزار، أحمد بن عمرو البزار،، مسند البزار، الطبعة الأولى، بيروت – المدينة، مؤسسة علوم القرآن – مكتبة العلوم والحكم 1409هـ:2174، والبيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي،، الاعتقاد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1401هـ، تحقيق محمد عصام: 92 وحكم على إسناده بالصحة كما صححه القرطبي، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ط. د، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387 هـ، تحقيق مصطفى علوي: 18 / 130 وصحح إسناده ابن القيم، محمد ابن قيم الجوزية،، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الطبعة الأولى، المنصورة، مكتبة الإيمان،1417هـ-1996م، شرح وتحقيق أبي علي مسلم الحسيني: 702 وقال الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط.د، القاهرة – بيروت، دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي هـ، 1407 هـ: (هذا لفظ أحمد، رجاله في طريق الأسود، وأبي هريرة رجال الصحيح، وكذلك رجال البزار فيهما)،: 7 / 215، وصححه الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين =

المطلب الثاني: الحكم على الحديث

هذا الحديث رواه الإمام أحمد من طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رضي الله عنه، وحكم عليه العلماء بالصحة كما بينا في تخريج الحديث وذكر أقوال العلماء فيه، وللحديث طرق وشواهد أخرى بعضها ضعيف وبعضها منقطع وبعضها صحيح، وفي الجملة فشواهد الحديث يقوي بعضها بعضا، ومن أصح هذه الطرق حديث الأسود بن سريع وحديث أبي هريرة رضي الله عنه وحديث ثوبان[1] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كانَ يومُ

الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي 1408هـ - 1988م: 1 / 213، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه، فقد روى له النسائي وغيره،

وأخرجه أحمد في مسنده 24/4، والبيهقي في الاعتقاد: 169، والبزار في مسنده: 2174.

وذكره السيوطي، جلال الدين السيوطي،، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، 1403هـ - 1983م: 252/5، وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه، وأبي نعيم، وابن مردويه.

وأخرجه أحمد4 في مسنده: 24/4 والبيهقي في الاعتقاد: 169، والبزار في مسنده: 2175من طريقين عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، وإسناده صحيح كما قال البيهقي.

وأخرجه ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو الضحاك الشيباني، السنة، الطبعة الأولى، بيروت، المكتب الإسلامي 1400هـ: 404 من طريق علي بن زيد-وهو ابن جدعان-عن أبي رافع، عن أبي هريرة.

وذكره الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط.د، القاهرة – بيروت، دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي، 1407 هـ: 216/7 وقال: (رجال أحمد في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح، وكذلك رجال البزار فيهما).

واخرجه ابن جرير الطبري، محمد بن جرير الطبري،، جامع البيان في تأويل القرآن، ط.د، القاهرة، دار الشعب،

تحقيق أحمد بن عبد العليم البردوني، 1405 هـ: 45/15 من طريقين عن معمر، عن همام عن أبي هريرة موقوفاً بلفظ: "إذ كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين جاء الإسلام قد خرفوا... "، فذكر نحوه، وفي آخره: قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}، وذكره السيوطي، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وفي الباب أيضاً عن أبي سعيد الخدري عند البزار في مسنده ": 2171بلفظ: "يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولد، فيقول الهالك في الفترة...." فذكره نحوه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 216/7، وقال: رواه البزار وفيه عطية وهو ضعيف، قلت: وحديثه حسن في الشواهد، وهذا منها.

وعن أنس عند البزار في مسنده: 2177 فيما ذكر الحافظ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر 1408هـ-1988م: 32/3-من طريق ليث بن أبي سليم، عن عبد الوارث، عنه، وليث ضعيف.

(1) ثوبان بن بجدد، أبو عبد الله، مولى رسول الله، أصله من أهل السراة، اشتراه النبي ثم أعتقه، فلم يزل يخدمه إلى أن مات، توفي سنة 54 هـ. انظر الاستيعاب: 209/1، الزركلي، خير الدين محمود بن محمد الزركلي،، =

القيامةِ جاءَ أهلُ الجاهليةِ يحملونَ أوثانَهُم على ظهورِهِم، فيسألهُم ربَهُم؟ فيقولون: ربَّنا ! لمْ ترسلَ إلينا رسُولاً ولمْ يأتِنا لكَ أمرٌ، ولو أرسلتَ إلينا رسولاً لكنّا أطوعَ عبادكَ، فيقولُ لهم ربهم: أريتك إن أمرتُكُم بأمرٍ تُطيعوني؟ فيقولونَ: نعم ! فيأمرُهُم أنْ يَعمَدوا إلى جَهنّم فيدْخُلُوهَا، فينْطلقُونَ حتّى إذَا دَنَوا منْها وجدُوا لهَا تغيظاً وزفيراً، فرجَعُوا إلى ربِهم فيقولون: ربَّنا ! أجِرنا منْها؟ فيقولُ لهُم: ألمْ تزعمُوا إنْ أمرتكُم بأمرٍ تطِيعُوني ! فيأخذُ على ذلكَ مواثيقهُم، فيقولُ: أعمدُوا إليها فادخلُوها، فينْطلقُون حتَّى إذَا رأوهَا فرقُوا ورجعُوا، فقالُوا: ربَّنا ! فرقْنا منْها ولا نستطيعُ أنْ ندخلهَا ! فيقولُ: أدخلُوها داخِرين، فقالَ النَّبي صلى الله عليهِ وسلمَ: لَو دخلُوها أولَ مرةٍ كانتْ عليهِم برداً وسلاماً)[1].

أما الطرق الأخرى فهي ضعيفة، ولكن الأئمة أخذوا بهذا الحديث باعتبار تعدد طرقه، يقول ابن تيمية رحمه الله: (وقد روي به آثار متعددة عن النبي صل الله عليه وسلم حسان يصدق بعضها بعضا)[2]. ويقول ابن القيم رحمه الله بعد استعراضه للأحاديث والشواهد لحديث الأسود بن سريع رضي الله عنه: (فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا وتشهد لها أصول الشرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة)[3] وقال ابن كثير رحمه الله: (أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، منها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط، أفادت الحجة عند الناظر فيها)[4].

المطلب الثالث: غريب الحديث

الأصم: وهو الذي لا يسمع، وقد يراد به الذي لا يهتدي ولا يقبل الحق، وذلك من صمم العقل، لا صمم الأذن، ولكن المراد من اللفظ في الحديث صمم الأذن[5].

المعتوه: الناقص العقل، والمعتوه: المدهوش من غير مس أو جنون، والمعتوه والمخفوق: المجنون، وقيل

الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الملايين 1980م: 102/2.

(1) أخرجه الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، بيروت، الكتب العلمية 1411هـ-1990م: 4 / 450، وقال: (صحيح على شرط البخاري ومسلم) ووافقه الذهبي، وقال السيوطي ـــ جلال الدين السيوطي، رسالة السبل الجلية، الطبعة الأولى، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، ت.د: (أحاديث الامتحان كثيرة، والصحيح منها ثلاثة، حديث الأسود، وأبي هريرة، وثوبان): 216.

(2) ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني الدمشقي، درء تعارض العقل والنقل، الطبعة الأولى، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق محمد رشاد سالم، 1403هـ-1983م: 401/8

(3) ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين: 706

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 51/3

(5) ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين بن الأثير،النهاية في غريب الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة الإسلامية، 1383هـ-1963م، تحقيق طاهر أحمد الراوي، ومحمود محمد الطناجي: 53/3

المعتوه الناقص العقل، ورجل معته: إذا كان مجنونا مضطربا في خلقه[1].

الهرم: كبر السن والرجل الهرم: هو الذي بلغ أقصى الكبر[2].

الفترة: الفتر يطلق على المسافة بين السبابة والإبهام، وفترة الوحي: انقطاعه مدة من الزمان[3].

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للحديث

ذكر لنا هذا الحديث النبوي الشريف حال أربعة أصناف من الخلق يحتجون يوم القيامة عند ربهم، فمما هو معلوم أن الله تبارك وتعالى قد أرسل الرسل وأنزل الكتب و أنذر الناس قبل الحساب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل)[4].

إلا أن هذا الحديث ورد فيه ذكر أربعة أصناف لم تبلغهم دعوة الرسل، ولم يستمعوا إلى الحق ولم تبلغهم بشارات الرسل ولا إنذارهم، فيأتون يوم القيامة محتجين بذلك عند الله. ثم بين لنا الحديث مصير هؤلاء القوم، فهم يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع الله ورسوله دخل الجنة ومن عصى الله ورسوله دخل النار، وبذلك يظهر علم الله السابق فيهم، فيشقى من كتبت عليه الشقاوة في بطن أمه ويسعد من كتبت عليه السعادة في بطن أمه.

ومن هنا يظهر أن هذا الحديث قد تناول عدة مسائل عقدية، منها مسألة وجود الفترة وبيان حكم أهلها وكذلك حكم كل من لم تبلغه دعوة الرسل، وسوف نتناول هذه المسائل بالبحث إن شاء الله تعالى. **المبحث الثاني: المسائل الدعوية الواردة في الحديث**

المطلب الأول: مسألة وجود أهل الفترة

أولا: تعريف الفترة

تعريف الفترة لغة: وردت كلمة (فتر) في اللغة للدلالة على ما بين طرفي السبابة والإبهام إذا فتحتهما، والفتر أيضا ما بين طرفي الإبهام وطرفي المشيرة[5][6]، والفتر جمع فَتور: وهي المرأة البطيئة الحركات، وفترة الوحي هي انقطاعه كما في

(1) الجوهري، أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، الطبعة الثانية، جدة، مكتبة الوادي،1399هـ- 1979م: 173/1، وابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، ط. د، بيروت، دار صادر، 1414هـ: 512/13

(2) الجوهري، الصحاح: 289/1، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: 260/5، ابن منظور، لسان العرب: 607/12

(3)ابن منظور، لسان العرب: 349/6،الجوهري، الصحاح: 777/2

(4) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الطبعة الثالثة، بيروت، دار ابن كثير، 1407هـ-1987م، تحقيق مصطفى ديب البغا: كتاب التوبة، باب غيرة الله وتحريم الفواحش: 2114/4

(5) المشيرة يقصد بها السبابة انظر ابن منظور، لسان العرب: 5/ 44

(6) انظر ابن منظور، لسان العرب: 6 / 349، والجوهري، الصحاح: 2/ 777

الحديث[1] إذا كلمة (فِتر) و(فُتر) تدل على طول المسافة والهدوء في الحركة وبطئها، وهذا ما يتناسب مع كلمة (فترة) التي تعني انقطاع الوحي والرسالة، وطول الزمان بين الرسولين، وهدوء حركة الوحي ونزوله من السماء.

تعريف الفترة اصطلاحا:

اختلف العلماء في تحديد الفترة في الاصطلاح على قولين:

القول الأول: قول من اقتصر في تعريف الفترة على الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة و السلام، وقد ذكر ذلك الشوكاني في تفسيره ونصره وبين أن المقصود بالفترة اصطلاحاً: هي انقطاع الرسل قبل بعثة الرسول صل الله عليه وسلم مدة من الزمان [2].

القول الثاني: قول من جعل الفترة اصطلاحا: عامة تشمل أي انقطاع بين أي رسولين، وهو قول الجمهور.

وقد عرف ابن كثير الفترة بقوله: (هي ما بين كل نبيين، كانقطاع الرسل بين عيسى عليه السلام و محمد صل الله عليه وسلم)[3]. فابن كثير عمم الفترة، لتشمل كل انقطاع بين أي نبيين، ومثل لهما بالانقطاع الذي حصل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وعرفها السبكي بأنها: ما كان بين رسولين لم يرسل إليه الأول ولم يدرك الثاني[4].

وأما الحافظ ابن حجر فإنه يقول في تعريفها: (المراد بالفترة المدة التي يبعث فيها رسول من الله، ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعة الرسول الأخير)[5].

وقال الطبري: (الفترة انقطاع الرسل بعد مجيئهم، من فتر الأمر إذا هدأ وسكن، ويراد سكون مجيء الرسل)[6].

والذي أراه – والله أعلم – أن لفظ (الفترة) عام، ويقصد به أي مدة انقطاع بين الرسل، وليس خاصا بفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ولكن إذا أطلقت الفترة كان المقصود بها الفترة الأخيرة، وهي التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وبهذا تعلم أن الفترة هي المدة التي لم يبعث فيها رسول من الله تعالى، بحيث يكون أهلها بين رسولين لم يدركوا أيا منهما، أو لم يدركوا الثاني ولم يرسل إليهم الأول، ولم تبلغهم دعوة الأنبياء والرسل.

(1) انظر الجبائي، ابن مالك عبد الله الجبائي، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى بمكة، مركز إحياء التراث الإسلامي، 1404هـ-1984م، تحقيق، سعد بن حمدان الغامدي: 2 / 474

(2) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، ط.د، بيروت، دار المعارف، ت.د: 25/2.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 35/2.

(4) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، جمع الجوامع، طبعة الحلبي، مصر، ت.د: 63/1.

(5) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط.د، بيروت، دار المعرفة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب: 277/7.

(6) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 156/10.

المطلب الثاني: بيان أهمية دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

فإن من عظيم حجته سبحانه وتعالى على خلقه أن بعث في كل أمة رسولاً، وأرسل الرسل متتابعين في كل الأمم، وعلى مدى الأزمنة وفي كل الأمكنة، أرسلهم دعاة إلى الله تعالى ولبيان الحق للخلق، إذ لا طريق للخلق لمعرفة مراد الله تعالى وما يحب وما يكره إلا عن طريق دعوة الرسل وبيانهم وماجاؤا به من التبشير والإنذار والتوضيح والبيان.

فحاجة البش إلى الوحي الإلهي هي فوق كل حاجة وضرورة فوق كل ضرورة، ولذلك كان من أكبر نعم الله تعالى على البشر ما امتن به خالقهم عليهم من بعثة الرسل وإنزاله للكتب فرسالة الرسل ودعوتهم ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيئ والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟والدنيا مظلمة ملعونة إلا إذا طلعت عليها شمس الرسالة ودعوة الأنبياء إلى خالقهم، وكذلك العبد مالم تشرق في قلبه شمس الرسالة وبناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال تعالى { أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها } الأنعام:122) فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات، وسمى الله تعالى رسالته ودعوة أنبيائه روحا، والروح إذا عدمت فقدت الحياة [1].

وإذا كان الأمر كذلك فلابد من بيان عدة أمور هي في بالغ الأهمية، وهي الأدلة التي وردت في القرآن الكريم في بيان بلوغ دعوة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم نفيا أو إثباتا، وكيف نوجه هذه الآيات والأدلة ونزيل أي إشكال يُتوهم تجاهها، وبيان ذلك فيما يلي:

أولا: الأدلة على بلوغ دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى كل الأمم:

. وهذا ما تدل عليه آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠﴾(النحل:20)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾(فاطر: 24). وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٤٧﴾(يونس: 47) وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ٧﴾(الرعد: 7)

فهذه الآيات تدل على أن الرسل قد بعثت لكل الأمم، وأنه لم تخل أمه من رسول، وتنفي وجود فترة خلت من الرسل والأنبياء لم ينذر أهلها، ولم تبلغهم الدعوة، وتدل دلالة واضحة على أن جميع الخلق قد قامت عليهم الحجة، فإذا عذبهم الله بعد ذلك لم

(1) انظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، مجموع الفتاوى، الطبعة الثالثة، مصر، دار الوفاء، 1426هـ-2005م:19/93-94 و99

يكن ظالماً لهم.

ثانيا: الأدلة على وجود الفترة وعدم بلوغ دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لبعض الخلق:

الآيات التي ذكرنها في بيان بلوغ الدعوة إلى كل أحد تتعارض مع آيات كثيرة تثبت وجود فترة خلت من الرسل والأنبياء، وتثبت وجود أقوام لم ينذروا ولم تبلغهم الدعوة.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ (يس: 6) وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ (السجدة: 3)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ (المائدة: 19).

فهذه الآيات تدل دلالة صريحة على أن هناك أقواماً لم يأتهم نذير، ولم تنذر من قبل، وكما تدل على وجود فترة خلت من الرسل والنذر.

ثالثا: الجمع بين الأدلة

والحق أنه لا تعارض بين الآيات، وحاشا أن يكون كتاب الله يضرب بعضه بعضاً، ولذلك لابد من إثبات أمرين:

أولاً: التأكيد على وجود فترة من الرسل:

ويدل على ذلك ما سبق ذكره من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ (المائدة: 19) }، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ (سبأ: 44)، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ (يس: 6) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يعني بهم العرب فإنه، ما أتاهم من نذير من قبله، وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم)[1].

أما من السنة فقد وردت جملة من الأحاديث الصحيحة التي نصت صراحة على وجود فترة.

ثانياً: التأكيد على أن الآيات التي تدل على إرسال الرسل إلى جميع الأمم صحيحة في دلالتها.

ذلك أن الله تعالى قد بعث في كل الأمم رسلا مبشرين ومنذرين، ولم تخل أمة من رسول يبين لها ويقطع أعذار أهلها، ويقيم حجة الله العظيمة عليهم.

فالله تعالى عندما أثبت الرسالة أثبتها لجميع الأمم، و حين نفاها نفاها عن بعض الأقوام، مثل العرب، واليهود، والنصارى قبل نبينا محمد ﷺ.

والقوم جزء من الأمة، والأمة أعم من القوم، والقوم أخص من الأمة، والله سبحانه وتعالى أثبت الرسالة للعام ونفاها عن الخاص.

ولذلك فكل الأمم قد أنذرت، وجاءها نذير بنص القرآن الكريم، وأما من لم يأتهم نذير كما جاء في الآيات والأحاديث فهم ليسوا أمة إنما أقوام.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 563/3.

ونفي النذير عن القوم لا ينفيه عن الأمة، وإثبات النذير لكل الأمم لا يثبته لكل الأقوام، فالأمة شملت أقواما كثيرين منهم من أنذر، ومنهم من لم ينذر.

ولا شك أن أكثر الأمة قد أنذر، وإنما تخلفت النذر عن الأقوام التي تأتي في أطراف الأمم من حيث الزمان أو المكان.

يقول الشنقيطي رحمه الله تعالى: (فآباء القوم الذين لم ينذروا مثلا المذكورون في قوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (يس: 6) ليسوا أمة مستقلة، يرد الإشكال في علم إنذارهم، مع قوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (فاطر: 24) بل هم بعض أمة، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ (فاطر: 24) لا يشكل عليه قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ ﴾ (الفرقان: 51)، لأن المعنى أرسلنا إلى جميع القرى، بل إلى الأسود والأحمر رسولاً واحداً هو محمد صل الله عليه وسلم، مع أنا لو شئنا أرسلنا إلى كل قرية بانفرادها رسولا، ولكن لم نفعل ذلك ليكون الإرسال إلى الناس كلهم فيه الإظهار لفضله صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل بإعطائه ما لم يعطه أحد مثله من الرسل عليه و عليهم الصلاة والسلام)[1].

وأما الألوسي فقد كان كلامه في غاية الدقة عندما أشار إلى هذا المعني بقوله: (يُعتبر العرب أمة، وبنو إسرائيل أمة، ونحو ذلك أمة، دون أهل عصر واحد، وتحمل من لم يأتيهم نذير على جماعة من أمة لم يأتيهم بخصوصهم نذير، ومما يستأنس به في ذلك أنه حين ينفي إتيان النذير ينفى عن قوم لا عن أمة فليتأمل)[2].

وهذا الذي أشار إليه الألوسي هو بيت القصيد كما يقولون، فالله عز وجل حين ينفي النذير، ينفيه عن القوم، وحين يثبته ويشير إلى عدم تخلفه ينفيه في حق الأمة، والقوم جزء من الأمة.

أما قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ (الرعد: 7) فظاهر هذه الآية أن لكل قوم رسولاً، وهذا يتعارض مع ما أثبتناه آنفاً، ولكن العلماء لهم في تفسير هذه الآية أربعة أوجه:

الوجه الأول: إن معنى (هاد) أي (داع)، يقول الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره هذه الآية: (لكل قوم هاد) أي داع يدعوهم ويرشدهم إما إلى خير كالأنبياء، وإما إلى شر كالشياطين، أي و أنت يا رسول الله منذر وهاد إلى كل خير)[3].

ويؤيد هذا القول ما جاء في القران الكريم من

(1) الشنقيطي، محمد الأمين الجنكي الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، ط.د، الرياض، المطابع الأهلية للأوفيست، 1403هـ- 1983م: 166/10.

(2) الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني، ط.د، بيروت، دار الفكر، 1398هـ- 1978م: 117/21.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: 163/10.

استعمال " الهدى " في الإرشاد إلى الشر أيضاً كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾(الحج: 4). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾(النساء: 168-169)، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾(القصص: 41).

وعلى هذا الوجه يكون معنى الآية: أن لكل قوم داع يدعوهم إما إلى الخير وإما إلى الشر، ولا يعني أن لكل قوم رسولاً ونبياً، لأن هناك أقواماً لم يأتهم نبي ولا نذير كما في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ (يس: 6).

وقد ذكر هذا الوجه جمع من المفسرين في كتبهم منهم ابن كثير[1]، و الطبري [2].

الوجه الثاني: وهو أن معنى (الهادي) هو الله تعالى، ويكون معنى الآية: إنما أنت منذر يا محمد، وأنا هادي كل قوم. وهذا الوجه منقول عن ابن عباس، وعن سعيد بن جبير، وعن الضحاك، و غيرهم، وذكره ابن كثير وغيره[3].

وذكره ابن تيمية وضعفه، بل لعله مال إلى رده حيث قال: (والهادي: بمعنى الداعي المعلم المبلغ لا بمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى: 52)[4].

الوجه الثالث: يرى أصحابه أن (الهادي) هو القائد، والقائد هو الإمام وقد يكون الإمام هو العمل.

وهذا مروي عن أبي العالية، وعلى هذا القول فالمعنى: ولكل قوم عمل يهديهم إلى ما هم صائرون إليه من خير وشر[5].

الوجه الرابع: أن المراد بالهادي هنا النبي، والمراد بالقوم الأمة، والمعنى: ولكل أمة نبي، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾(يونس: 47)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ } (فاطر: 24)

وهذا القول مروي عن قتادة، ومجاهد، وعكرمة،

---

(1) تفسير القرآن العظيم: 356/4.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن: 107/13 وما بعدها.

(3) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 356/4، والشوكاني، فتح القدير: 68/3.

(4) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح، ط.د، جدة – القاهرة، مكتبة المدني – مطبعة المدني، ت.د: 210/1.

(5) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 107/13، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 501/2، والشنقيطي، أضواء البيان: 165/10.

وعبد الرحمن بن زيد [1]، والضحاك، ورجحه جمع من المفسرين، منهم ابن كثير، و الشوكاني، كما رجحه شيخ الإسلام وقال: { إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} - في أصح الأقوال – ولكل قوم داع يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته كما أنت هاد أي داع لمن أرسلت إليهم [2].

وبهذا يكون المعنى المراد من الآية: أن القوم المراد به الأمة، والهادي هو النبي، ومعنى الآية: لكل أمة نبي، كقوله تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ}.

وبهذا يتهاوى التعارض بين الآيات، وتكون الفترة ثابتة بنص القران، والقرآن يصدق بعضه بعضا، ويؤيد بعضه بعضا، وكأنه عقد من النور، لا تنفصل حباته، ولا تتنافر معانيه، ولا تنتهي أسراره.

ونخلص من ذلك بأنه يجوز أن يتخلف النذير عن بعض الأقوام، وعن جزء من الأمة، ولكنه لا يتخلف عن أمة بأسرها، فما من أمة من الأمم الا جاءها نذير، وبعث فيها رسول.

وبما أن الفترة ثابتة بنص القران الكريم، فقد ثبت وجود أقوام لم تقم عليهم حجة الله تعالى، ولم تبلغهم الرسالة، فما هو حكمهم؟ هل هم معذبون بذنوبهم؟ أم أن العذاب لا يقع عليهم لعدم قيام الحجة عليهم؟ هذا ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: المسائل العقدية الواردة في الحديث

المطلب الأول: حكم أهل الفترة

ذهب السلف إلى أن الله تعالى يرسل رسولا إلى كل من لم تبلغه الدعوة، وذلك في عرصات يوم القيامة، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وبذلك تقام عليهم الحجة، ويظهر علم الله تعالى وعدله فيهم.

واستدلوا بحديث الأسود بن سريع رضي الله عنه أن النبي صل الله عليه وسلم قال: " أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، وأما الأصم فيقول: رب ! لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب ! لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب ! لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ! ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ! فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاماً، ومن لم يدخلها يُستجر إليها"[3]. وهذا القول ذهب إليه ابن تيمية [4]، وابن

---

(1) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي، كان من أتم الرجال خلقة، روى الحديث عن أبيه غيره، ولد سنة 5 هـ، وتوفي نحو سنة 65 هـ. انظر ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط.د، طبع في حيدر آباد، 1325هـ:179/6، الزركلي، الأعلام: 307/3.

(2) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: 210/1.

(3) سبق تخريجه.

(4) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل: 401/8، 436، 437، والجواب الصحيح، 312/1.

القيم[1]، وابن كثير [2]، و الشـنقيطي[3]، وأحاديث امتحان أهل الفترة كثيرة يقوي بعضـها بعضـا ولذلك اعتمد عليها العلماء فيما ذهبوا إليه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (يرسـل إليهم الله تبارك وتعالى رسـولا، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسـول دخل الجنة، ومن عصـاه دخل النار، فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وهذا قول جميع أهل السنة والجماعة حكاه الأشعري عنهم)[4].

وإذا كان أهل الفترة لم تبلغهم الرسالة ولم يدركوا زمن أحد من الرسـل أو الأنبياء، فإن هناك أفراداً أدركوا زمن الرسـالة والدعوة، ولكن لم تبلغهم الرسـالة، ولم يسـمعوا شـيئاً من وحي السـماء ولم يعقلوه، لعوارض أتت عليهم، مثل الصـمم، والخرف، أو الصـغر والجنون، فما حكم هؤلاء، وما هو مصـيرهم، وهل هم معذبون أم ناجون يوم القيامة؟ هذا ما سـيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: حكم الصم والبكم:

الصمم: هو انسداد الأذن، وثقل السمع[5].

والبكم: هو الخرس، كالبكامة، وقد يكون مع عمي و بله، أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع، ولا يبصر[6].

والأصم الذي لا يستطيع السمع يكون عادة أبكم لا يستطيع الكلام، لأن من الثابت المشاهد أن من ولد أصم فهو أبكم، وكذلك من طرأ عليه الصمم في طفولته فيكون أبكم.

فالأصل هو السمع، ومن فقد السمع فقد القدرة على الكلام، ومن ثم كان أصم و أبكم[7].

ولقد ربط الله تعالى بين هاتين الحاستين حيث قال: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنفال: 22)، وقال تعالى: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾(البقرة: 18)،

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ ﴾(الأنعام: 39).

والسـمع مهم لبلوغ الدعوة إلى المدعو، وعن طريقة تقام الحجة على الناس بتبليغهم دعوة الله، وقد وردت آيات كثيرة تبين أهمية السـمع في هذا الأمر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(الروم: 23) ومنها قوله

(1) ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السـعادتين: 396، ومدارج السـالكين ط.د، مصـر. دار الحديث، ت.د: 188/1، 189

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 32/3.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان: 482/3.

(4)ابن القيم، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، الطبعة الأولى، الدمام، الرمادي للنشـر، 1418هـ- 1997م: 648/2، 649.

(5) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الطبعة الثالثة، مصـر، المكتبة الحسينية، 1344هـ: 1459.

(6) نفس المصدر: 1397.

(7) محمد عبد العزيز، د. محمد كمال عبد العزيز، انظر إعجاز القرآن في حواس الإنسـان، طبعة مكتبة القرآن، القاهرة، ت.د: 6/1.

تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ (الجاثية: 7-8) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ (التوبة: 6)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ (الجن: 13) وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾ (المائدة: 38) وقال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝١٩٣﴾ (آل عمران: 193) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦﴾ (الأنعام: 36)

ولأهمية السمع فقد ربط الله بينه وبين العقل في مثل قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ (البقرة: 18)

وحين تتعطل حاسة السمع لدى الإنسان، يصبح الإنسان في عزلة تامة عن سماع أي قول أو هدي، فيشبه بذلك الأموات.

ومن هنا فإن أصحاب الكهف لما ضرب الله على آذانهم، وعطل حاسة السمع عندهم ناموا نوماً عميقاً، لمدة طويلة، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ (الكهف: 11-12). وهذا التعبير القرآني يشعر بطول لبثهم في الكهف، ويشعر أنهم كانوا كالأموات، ولذلك قال الله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ (الكهف: 12) ومن المعلوم أن السمع لا يتعطل حتى في أثناء النوم، ولما تعطل أصبحوا كالأموات.

وهذا ما يؤكد على أن الأصم معزول عن هذه الحياة، ولا يعيش معها، ولا يتفاعل مع أحداثها، ولا يفهم شيئاً مما يجري حوله، وإن كان يرى أمامه أشكالا مختلفة لكنه لا يعرف حقيقتها، ولا كنهها ولا معناها.

ومع أن البصر مهم أيضاً، إذ به يرى الإنسان النور، وينظر في آيات الكون كله، والإنسان في حاجة ماسة لبصره ونظره إلا أن أهمية البصر تقل عن أهمية السمع.

فالسمع مقدم على البصر، وقد قدمه الله تعالى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ (الإسراء: 36)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ (النحل: 78)،وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۝٤٦﴾ (الأنعام: 46).

وهذا القول اختاره الزركشـــي في " البحر المحيط "[1]، وابن القيم في " مفتاح دار السعادة "، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وكذلك من عدم السـمع فإنه يفقـد روح المخـاطبة والمحاورة، ويعـدم لـذة المـذاكرة ونعمة الأصـوات الشـجية، وتعظم المؤنة على الناس في خطابه، ويتبرمون به، ولا يسـمع شـيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم، فهو بينهم شـــاهد غائب، وحي كميت، وقريب كبعيد. وقد اختلف النظار في أيهما أقرب إلى الكمال وأقل اختلالا لأموره، الضـــرير أو الأطرش، والذي يليق بهذا الموضـــع أن يقال عادم البصـر أشـدهما ضـرراً، وأسـلمهما ديناً، وأحمدهما عاقبة، و عادم السـمع أقلهما ضـررا في دنياه، وأجهلهما بدينه، وأسـوأ عاقبة، فإنه إذا عدم السـمع عدم المواعظ والنصـائح وانسـدت عليه أبواب العلوم النافعة، و انفتحت له طرق الشـهوات التي لا يدركها البصـر، ولا يناله من العلم ما يكفه عنها، فضـرره في دينه أكثر، وضـــرر الأعمى في دنياه أكثر، ولهذا لم يكن في الصـحابة أطرش، وكان فيهم جماعة أضـراء، وقل أن يبتلي الله أولياءه بالطرش، ويبتلي كثيرا منهم بالعمى. فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة فمضرة الأطرش في الدين، ومضـرة العمى في الدنيا، والمعافي من عافاه الله منهما، ومتعه بسـمعه وبصـره وجعلهما الوارثين منه[2].

وقول ابن القيم هنا يؤكد على أهمية السـمع في صلاح الدين، لأنه طريق الهدى و به يسمع الحق و الرشد، وبغير السمع لا يصل إلى الإنسان شيء من نور النبوة، ولذلك فإن السمع أفضل من البصر من هذه الناحية.

أما البصـر فإنه أفضـل من السـمع في صـلاح أمور الدنيا وتهذيب الحياة المعيشية، فالأعمى هنا أسوأ من الأصم في أمور دنياه.

والذي يهمنا في هذا البحث هو قيام الحجة على الإنســان، وحصــول الســعادة له في الدنيا والآخرة بحصـول الثواب الرباني واندفاع العقاب الرباني، وهذا لا يتحقق إلا برحمة الله تعالى وصلاح الدين الذي لا يتم إلا بالسـمع، ومن هذا الوجه كان السـمع أفضـل من البصـر في إقامة الحجة وبلوغ الرسـالة وحصـول الهداية.

والصمم أنواع منها ما هو صمم جزئي ومنها ما هو صـــمم كلي، ومنها الصـــمم البســـيط الذي يمكن علاجه، لأنه طارئ أي ناتج عن مرض في أجزاء من الأذن، ومنها ما هو صـــمم خلقي عميق، وهذا هو الذي لا علاج له، ولا يمكن لصاحبه أن يسمع شيئاً البتة[3].

---

(1) الزركشـــي، بـدر الـدين محمـد بن بهـادر بن عبـد الله الزركشـي، البحر المحيط في أصـول الفقه، الطبعة الثانية، الكويـت، وزارة الأوقـاف والشـــؤون الإســـلاميـة، 1413هـ- 1992م: 1 / 66.

(2) ابن القيم، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، مفتاح دار الســـعـادة، الطبعـة الأولى، القـاهرة، دار الحـديـث، 1414هـــ-1994م، تحقيق سيد إبراهيم علي محمد: 1/302 – 303.

(3) ذكر أهل الاختصاص أنواعا كثيرة للصمم منها:

١- النقلي: وهو ناتج عن تلف أحد أعضـاء الأذن ويمكن علاجه.

=

ومع إمكان تعليم الأصم الذي صممه متوسط او ضعيف، بعدة طرق عصرية معروفة تعتمد على حاسة النظر وتحريك الشفتين، أو عن طريق الإرشادات أو البرامج المرئية[1]، إلا أن نسبة إدراك الصم وفهمهم تختلف بحسب عقولهم وقدراتهم وذكائهم، فمنهم من يدرك المقصود، ومنهم من يدرك أكثره، ومنهم من لا يدرك إلا يسيرا منه، ومنهم من لا يدرك شيئاً البتة.

وعلى هذا فيمكن إبلاغ الأصم الذي صممه بسيط الدعوة بحسب ما يستطيع.

أما الذين أصيبوا بصمم عميق فلا يسمعون شيئاً، فإن إيصال الدعوة إليهم أمر في غاية الصعوبة والمشقة.

وإفهام الأصم شيئاً عن الطعام والشراب واللباس يختلف كليا عن إفهامه شيئا عن اليوم الآخر، وما فيه من جنة ونار وحساب، فإن الحركات والإشارات لا تستطيع أن توصل تلك المعاني إلى الأصم، وقد يفهم الأصم شيئاً من ذلك، ولكنه لا يفهمه جيدا، ولا يدركه إدراكا تاماً مما يجعل العذر باقيا في حقه لو سمع وأدرك شيئاً من الأمور، وهو بذلك محاسب على قدر ما استوعبه وفهمه، ومعذور في كل ما جهله ولم يدركه، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (البقرة: 286).

أما الأصم والأبكم الأعمى فإنه لا يمكن إبلاغه شيئا من الدعوة البتة، لأن مداخل العلم الثلاثة مسدودة عنده بالكلية، فليس له طريق للمعرفة – إلا أن يشاء الله _لأنه كالذي يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض.

وعلى ذلك فحكم الأصم الذي لم تبلغه الدعوة إطلاقا فهو الامتحان، كما ورد ذلك في أحاديث الامتحان المتقدمة.

ومن سمع شيئا من الدعوة فهو مكلف على قدر ما سمع، لأن حكم من لم تبلغه الدعوة مثل أهل الفترة الذين لم يدركوا رسولاً وقد قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

---

٢ – الإدراكي: ويتفرع إلى صمم مزدوج، وقصور سمعي متوسط، وقصور سمعي خطير، وقصور سمعي عميق.

أما الصمم المزدوج، والقصور السمعي المتوسط فيمكن علاجه، وأما القصور السمعي الخطير، او القصور السمعي العميق فلا يمكن علاجه. انظر: الراجحي وعمار، د. محمد الراجحي ود. عبد الرزاق عمار، دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، تونس، 1982م: 84 – 85، وانظر بركات، لطفي بركات، تربية المعوقين في الوطن العربي، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار الفكر، 1408هـ- 1988م: 82 – 83.

(1) انظر تفصيل ذلك: الراجحي وعمار، تربية المعوقين في البلاد العربية،: 88 وما بعدها، وبركات، تربية المعوقين في الوطن العربي: 97 – 104.

(الإسراء: 15).

فمن وصـــلته الدعوة ولم يؤمن كان من أهل النار، ومن لم تصله دعوة الرسول نفي عنه العذاب، ولكنه لم يحكم له بالجنة، وهذا ما يحقق معنى الامتحان في حقهم والله أعلم[1].

المطلب الثالث: حكم الأطفال الذين ماتوا قبل التكليف

وهذا يشـــمل أطفال المســـلمين وأطفال المؤمنين، وبيان ذلك على النحو التالي:

أولا: حكم أطفال المسلمين في الآخرة:

أجمع العلماء على أن أطفال المســـلمين في الجنة، وأنهم من أهلها، فقد قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (فأما ولدان المســـلمين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال: لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة، وهذا هو المشـــهور بين الناس (أي العلماء) وهو الذي نقطع به إن شـــاء الله عز وجل)[2]، وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (من يشـــك أن أولاد المسـلمين في الجنة) وقال أيضـا: ((إنه لا اختلاف فيهم) [3]، وقال النووي رحمه الله تعالى: (أجمع من يعتد به من علماء المســـلمين على أن من مات من أطفال المسـلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفا) [4]، وقال القرطبي: (إن القول بأنهم في الجنة هو قول الأكثر) [5].

ثانيا: حكم أطفال المشركين في الآخرة:

فقد اختلف العلماء في حكمهم، وســـبب الخلاف في صـبيان المشـركين الذين ماتوا قبل البلوغ، مع أنهم بلغتهم الرســـالة وسمعوا الدعوة، هو التســـاؤل: هل قـامـت الحجـة على هؤلاء لبلوغهم الـدعوة؟، أم أن الحجة لم تقم عليهم لعدم بلوغهم سن التكليف؟ وما هو مصيرهم في الآخرة؟.

والجواب عن ذلك يقتضـــي بيان أقوال العلماء في أطفال المشـركين وصـبيانهم، فقد اختلف العلماء في حكمهم على عدة أقوال:

القول الأول: وهو الوقف أو التوقف فيهم، وهـذا يعني اننا لا نحكم لهم بجنة ولا نار، ونكل علمهم إلى الله تعالى، وهذا القول نقله البيهقي عن الشـافعي في حق صـبيان المشـركين [6]، وذكر الحليمي هذا القول

(1) انظر حمدان، مروان حمدان، رسـالة الآيات والأحاديث الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم، رسـالة ماجستير بجامعة أم القرى..

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 33

(3) ابن القيم، حاشية ابن القيم على سنن أبي داوود ضمن كتاب عون المعبود شرح سـنن أبي داوود، محمد أشـرف بن أمير بن علي بن حيدر الصـــديقي العظيم آبادي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـــ: 83/7

(4) النووي، يحي بن شـــرف الدين بن مري بن حســـن النووي، المنهاج في شـرح صـحيح مسـلم بن الحجاج، الطبعـة الأولى، مصـــر، المطبعـة المصـــريـة بالأزهر، 1347هـ- 1929م: 16 / 207

(5) القرطبي، أبو عبـد الله محمـد بن أحمـد بن أبي بكر القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، الطبعة الأولى، الرياض، دار المنهاج، 1425هـ: 2/ 328

(6) انظر البيهقي، الاعتقاد: 168.

عن جماعة من العلماء [1]، وذكر ابن قدامة في المغني: أن الإمام أحمد رحمه الله – سئل عن أولاد المشركين؟ فقال: أذهب إلى قول النبي صل الله عليه وسلم: الله أعلم بما كانوا عاملين، وقال: (كان ابن عباس يقول: فأبواه يهودانه و ينصرانه، حتى سمع: الله أعلم بما كانوا عاملين فترك قوله)[2]، ونقل عن الإمام أحمد قوله: (ونحن نمر هذه الأحاديث على ما جاءت به، ولا نقول شيئاً)[3]،

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الإمام أحمد رحمه الله هذا القول وقال: (فإن النصوص عن الإمام أحمد وغيره، الوقف في أطفال المشركين)[4].

ونصر هذا القول البغوي في شرح السنة حيث قال: (أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنة ولا نار، بل أمرهم موكول إلى علم الله تعالى فيهم، كما سبق لهم في علم الله سبحانه وتعالى من السعادة والشقاوة)[5].

القول الثاني: إنهم في النار.

واستدل أصحاب هذا القول بحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: (سألت رسول الله صل الله عليه وسلم عن أولاد المسلمين أين هم؟ قال: (في الجنة) وسألته عن أولاد المشركين أين هم يوم القيامة؟ قال: (في النار) فقلت، لم يدركوا الأعمال، ولم تجر عليهم الأقلام، قال: (ربك أعلم بما كانوا عاملين والذي نفسي بيده لئن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار)[6].

واستدلوا كذلك بحديث علي رضي الله عنه أنه قال: (سألت خديجة رسول الله صل الله عليه وسلم عن ولدين ماتا في الجاهلية؟ فقال: (هما في النار. فلما رأى الكراهية و وجهها قال: لو رأيت مكانهما لأبغضتهما. قالت: يا رسول الله، فولدي منك قال: إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وأن المشركين و أولادهم في النار)[7].

---

(1) الحليمي، الحسين بن الحسن بن محمد البخاري الجرجاني الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، 1399هـ- 1979م: 159/1.

(2) ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، المغني مع الشرح الكبير، طبعة جديدة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1392هـ- 1972م: 633/10.

(3) المصدر نفسه: 634/10.

(4) المصدر نفسه: 634/10.

(5) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، شرح السنة، ط.د، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق علي محمد معوض، عادل عبد الموجود: 55/1، 156.

(6) هذا الحديث ضعيف باتفاق العلماء، وقال فيه الحافظ ابن حجر: (ضعيف جدا، لأن في إسناده أبا عقيل مولي بقيه وهو متروك) فتح الباري: 246/3، وقال الهيثمي: (رواه أحمد وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل ضعفه جمهور الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين) مجمع الزوائد: 217/7، وقال السيوطي في البدور السافرة: 299، (أخرجه أحمد بسند ضعيف جدا عن عائشة).

(7) ذكره ابن كثير في تفسيره وضعفه: 32/3، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه عبد الله بن أحمد، وفيه محمد بن عثمان ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح): 17/7، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (حديث موضوع كذب)، درء التعارض: 398/8، وضعفه ابن القيم في طريق الهجرتين: 389.

القول الثالث: الإمساك:

وهو ترك الخوض في هذه المسألة نفياً وإثباتاً، تورعاً من الخوض فيما استأثر الله بعلمه.

يقول ابن القيم: (والإمساك هو ترك الكلام في المسألة نفياً وإثباتاً بالكلية، وجعلها مما استأثر الله بعلمه وطوى معرفته عن الخلق)[1].

والإمساك يختلف عن الوقف، فإن بين الوقف والإمساك فرقاً دقيقاً، ومن هنا جعل كل قول منفصلا عن القول الآخر.

يقول ابن حجر: (وفي الفرق بين الوقف والإمساك دقة)[2].

فالذي يمسك يمسك مع علمه بهذه المسألة وعلمه بالخلاف فيها، ولكنه آثر السكوت، والمتوقف يتوقف لتعارض النصوص في هذا الباب، أو أنه متوقف عملا بالأحاديث التي تنص على التوقف في أمرهم، أو لعدم علمه.

ومن الأحاديث التي تنص على الإمساك عن الخوض فيهم، عن أبي رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (لا يزال أمر هذه الأمة موائما – أو مقارباً – حتى يتكلموا في الولدان والقدر، وفي لفظ (حتى ينظروا في الأطفال و القدر)[3].

وهذا القول روي عن ابن عباس كما تقدم، والقاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم، ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره [4].

القول الرابع: إنهم يمتحنون يوم القيامة.

وذهب أصحاب هذا القول إلى أن الله تعالى يرسل إليهم رسولاً، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة، ومن عصى دخل النار وبهذا تقام عليهم الحجة يوم القيامة، ويظهر عدله سبحانه.

وهذا القول هو الذي جاءت الأحاديث صريحة به، وقد ظهر من أحاديث الامتحان السابقة أن الأطفال من الممتحنين يوم القيامة. وهذا القول: هو قول أهل السنة، وهو قول ابن تيمية [5] وابن القيم [6]، ونصره ابن كثير في تفسيره[7].

وهذا القول هو القول الراجح لاعتماده على الأحاديث الصحيحة ولموافقته لنصوص القرآن الكريم و عدم تعارضه معها، كما أنه موافق للعقل والفطرة،

(1) ابن القيم، أحكام أهل الذمة: 648/2.

(2) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 247/3.

(3) قال الهيثمي: (رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار ورجال الصحيح) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 202/7، وذكره الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وقال: (هذا حديث صحيح ولم يخرج في الكتب الستة): 104/16

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 54/3.

(5) انظر ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل: 401/8، 436، 437؛ والجواب الصحيح: 312/1

(6) انظر ابن القيم، أحكام أهل الذمة: 638/2، 649، 654، وطريق الهجرتين: 396، 397، ومدارج السالكين: 188/1

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 32/3.

ومثبت لعدله سبحانه ورحمته وحكمته "[1].

المطلب الرابع: حكم الهرِم والأحمق الّذَيْن لم تبلغهما الدعوة

الهِرم: هو الشـــيخ الّذي لم تبلغه الدعوة أو الرســـالة

(1) انظر السيوطي، البدور السافرة: 302.

وذكر العلماء أقوالاً أخرى في أطفال المشركين منها:

الأول: إنهم يكونون في برزج بين الجنة والنار.

وهذا المقام الذي يوضـــعون فيه، لأنهم لا طاعة لهم، ولا معصية. فانهم لم يعملوا ما يبلغهم الجنة وكذلك لم يقترفوا الذنوب والمعاصـــي التي تدخلهم النار، وهذا القول جعلهم كأصـــحاب الأعراف واصـــحاب هذا القول ان ارادوا أن هذا المنزل مســـتقرهم أبداً، فهذا قول باطل مردود، لأن أهل الأعراف مصـــيرهم إلى الجنة. ولأنه لا دار ثالثة يوم القيامة، فإما إلى جنة، و إما إلى نار، وهذا أمر لا خلاف فيه.

وإن أرادوا أنهم يقفون فيه زمناً ثم يصـــيرون إلى الجنة، فمعنى ذلك أن الأطفال مصـــيرهم إلى الجنة، ولا حاجة لهذا القول، لأنه يؤول إلى ما قبله وهذا القول هو قول عبد العزيز الكناني، كما ذكر ذلك ابن القيم، انظر أحكام أهل الذمة: 641/2، وطريق الهجرتين: 393.

القول الثاني: إنهم في مشيئة الله.

وأصحاب هذا القول يقولون: إنه يجوز أن يعمهم الله برحمته جميعهم، ويجوز أن يعـذبهم جميعـا، ويجوز أن يـدخـل بعضـهم الجنة، وبعضـهم النار. وأصـحاب هذا القول هم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل، وهو قول كثير من مثبتي القدر و غيرهم، وقد رد عليهم ابن القيم بقوله: (وقد ظن كثير من هؤلاء أن هذا جواب النبي صـــل الله عليه وسلم حين سئل عنهم، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، وهذا الفهم غلط على رسـول الله صـل الله عليه وسـلم وجوابه لا يدل على ذلك أصـــلاً، بل هو حجة عليهم، فإنه لم يقل هم في مشـيئة الله، يفعل فيهم ما يشـاء بلا ســـبب ولا عمل، بل أخبر أن الله يعلم أعمالهم التي يستحقون بها الثواب أو العقاب لو عاشوا وهو مذهب مخالف للعقل و الفطرة و القرآن والسنة وجميع ما جاءت به الرســـل). انظر أحكام أهل الذمة، لابن القيم: 642/2.

القول الثالث: إنهم تبع آبائهم.

وهذا القول حكاه ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن ســـعيد بن حزم الظاهري، الفصـــل في الملل والأهواء والنحـل، ط.د،القـاهرة، مكتبـة الخـانجي، ت.د، عن الأزارقة من الخوارج / 7523.

وحجتهم في ذلك قوله تعالى: { وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} ســـورة نوح آية: 26.

ويرى ابن حزم أن قولهم هذا في حكم الدنيا لا في أحكام الآخرة، وهذا ما جزم به ابن تيمية وابن القيم وهو الحق انظر، ابن القيم، أحكام أهل الذمة: 646/2.

وهذا القول وما ســبقه من الأقوال التي تجوز تعذيبهم أقوال مردودة لقوله تعالى:{ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِـــهِۖ وَمَن ضَـــلَّ فَإِنَّمَا يَضِـــلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُـولًا } ســورة الإســراء، آيـه: 15. وقولـه تعـالى: { يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } ســـورة التحريم، آية: 7. وكل الآيات التي تنفي العذاب عن كل من لم يأته نذير أو يسبق بالعمل.

وكذلك الحديث الصحيح الذي بين فيه رسول الله صل الله عليه وسلم أن القلم مرفوع عن الأطفال حتى يبلغوا، فقد قال عليه الصـــلاة والســـلام " رفع القلم عن ثلاثة عن الصـــبي حتى يحتلم. رواه البخاري، في التعليقات، باب الطلاق في الإغلاق.

القول الرابع: إنهم يصيرون تراباً.

وقد ذكر ذلك ابن القيم في أحكام أهل الذمة: 647/2.

لذهاب عقله

الأحمق: هو المجنون الّذي لم تبلغه الدعوة لذهاب عقله

ولا شك أن العقل هو مناط التكليف، وبه يكلف العبد و، به يختار فعله، وعلى ذلك يحاسب.

وعلى ذلك فإن من كانت هذه حاله فهو لم تبلغه الدعوة، ولم تبلغه الرسالة، وحكمه حكم أهل الفترة الّذين لم يدركوا الرسل ولم يسمعوا الحق ولم يصل إليهم.

وقد دلت النصوص التي سبق ذكرها على أنهم في الآخرة يمتحنون، وهذا ما ذهب إليه العلماء على أصح الأقوال كما بينا [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقا على حديث أبي هريرة في المحاجة في الآخرة والذي جاء فيه: (والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا) قال: (فبين أبو هريرة أن الله لا يعذب أحدا حتى يبعث إليه رسولا، وأنه في الآخرة يمتحن من لم تبلغه الرسالة في الدنيا) [2]. فأكد شيخ الإسلام حصول الامتحان للشيخ الهرم الذي لم يدرك الرسالة بناء على مامضى من الأحاديث والأخبار.

أما الأحمق والمجنون فقال عنه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (حكم المجنون حكم الطفل إذا كان أبواه مسلمين كان مسلما تبعا لأبويه باتفاق المسلمين، وكذلك إذا كانت أمه مسلمة عند جمهور العلماء كأبي حنيفة والشافعي وأحمد، وكذلك من جن بعد إسلامه يثبت لهم حكم الإسلام تبعا لآبائهم، وكذلك المجنون الذي ولد بين المسلمين يحكم له بالإسلام ظاهرا تبعا لأبويه أو لأهل الدار كما يحكم بذلك للأطفال، لا لأجل إيمان قام به، فأطفال المسلمين ومجانينهم يوم القيامة تبع لآبائهم) [3]، وهذا القول لشيخ الإسلام يفرق فيه بين مجانين المسلمين وغيرهم، فجعل مجانين المسلمين كأطفالهم تبعا لأبائهم، وبذلك تكون أحاديث الامتحان يقصد بها مجانين غير المسلمين الذين لم تبلغهم الدعوة، وهذا من كمال عدل الله تبارك وتعالى ورحمته بخلقه.

المطلب الخامس: عدم وقوع العذاب الدنيوي و الأخروي إلا بعد قيام الحجة:

ويؤكده عدد من الآيات في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥ ﴾(الإسراء: 15).

قال الطبري في تفسيرها: (وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، و إقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم، -ثم ساق بسنده – عن قتادة قوله في تفسير الآية: إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذباً أحداً إلا بذنبه) [4].

(1) انظر ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل: 8/ 399

(2) المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، مجموع الفتاوى، الطبعة الثالثة، مصر، دار الوفاء، 1426هـ- 2005م

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 15 / 54.

وقال القرطبي: (أي لم نترك الخلق سدي، بل أرسلنا الرســـل، ثم قال: والجمهور على أن هذا في حكم الدنيا، أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الرســـالة إليهم والإنذار، وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾(الملك: 8-9)) [1].

ويقول الألوسي: (تدل بعمومها على أن الله تعالى لا يعذب أحداً، بنوع من العذاب – دنيويا أو أخرويا – حتى يبعث إليها رســـولا يهدي إلى الحق، ويردع عن الضـــلال، ويقيم الحجج، وعلى تســـليم أن المناسب لسياق الآية أن المراد هو العذاب الدنيوي ! فالجواب: أنه إذا دلت الآية على أن اللائق بالحكمة أن لا يعذب أحداً في الدنيا على ترك واجب – وقبل بعثة الرســـول – فدلالتها على أن لا يعذب أحدا العذاب الأكبر – وهو عذاب الآخرة – من باب أولى)[2].

ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ (الشـــعراء: 208-209)، قال ابن كثير: (قال تعالى مخبرا عن عدله في خلقه إنه ما أهلك من أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم والإنذار لهم، وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجة عليهم)[3]، قال الشوكاني: (وما أهلكنا قرية من القرى إلا بعد الإنذار إليهم والإعذار بإرسال الرسل، قوله (ذكرى) بمعنى تذكرة (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم، فقد قدمنا الحجة إليهم وأنذرناهم وأعذرنا إليهم)[4]، ويقول الشـــيخ الســـعدي: (يخبر تعالى عن كمال عدله، في إهلاك المكذبين، وأنه ما أوقع بقرية هلاكاً و عذاباً، إلا بعد أن يعذرهم، ويبعث فيهم النذر بالآيات البينات، فيدعونهم إلى الهدى، وينهونهم عن الردى، ويذكرونهم بآيات الله، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونقمة (ذكرى) لهم وإقامة حجة عليهم (وما كنا ظالمين) فنهلك القرى، قبل أن ننذرهم، ونأخذهم، وهم غافلون عن النذر)[5].

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾(القصص: 59)

أما وقوع العقاب الدنيوي فهو مســـبب عن ذنوب الأمم المكذبة للرســـل، وإصـــرارهم على تكذيبهم وجحودهم، ويدل على ذلك ما جاء في آيات القرآن الكريم من إلقاء مســـئولية وقوع العذاب عليهم لما كانوا عليه من ذنوب ومعاص واســـتكبار في الأرض

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط.د، القاهرة، دار الشعب، 1372هـ: 231/10.

(2) الألوسي، روح المعاني: 36/15.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 348/3.

(4) الشوكاني، فتح القدير: 4 / 119.

(5) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة التاسعة، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، 1418هـ- 1998م: 548.

فكان ذلك هو سبب الإهلاك والأخذ والعقاب.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَتۡ تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٢﴾(غافر: 21-22).

وفي بيان سبب وقوع العذاب والعقاب الدنيوي – وهو ذنوب الأمم المعذبة – تنزيه الله تعالى عن الظلم، وبيان عدله، ببيان تقدم حجته لهم، والإعذار إليهم.

ولذلك ينفي الله تبارك وتعالى الظلم عن نفسه بعد بيان قصص الرسل والأنبياء، مبيناً أن عذابهم بسبب ذنوبهم، وموضحاً أن عذابه لهم مسبوق بالإعذار والإنذار وإقامة الحجة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩﴾(الروم: 9).

يقول ابن كثير: (وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، أي وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستهزأوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم)[1].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ (القصص: 59)

يقول السعدي رحمه الله: (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل أن الله لا يعذب أحداً إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه)[2].

ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ٤٠﴾[الإسراء:40].

الخاتمة وأهم النتائج:

– بيان أهمية دعوة الأنبياء والرسل في بيان الحق للخلق.

–أن الله تعالى عدل لا يظلم أحدا وقد حرم الظلم على نفسه، فلا يعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة.

– أن الفترة بين الرسل وجودها ثابت، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

– أن الله تعالى قد بعث أنبياء ورسلاً إلى جميع الأمم، وهذا مقتضى عدله وحكمته، ليقيم الحجة على عباده، وهذا لا يتنافى مع وجود فترة بين الرسل.

– أن الله تعالى عندما أثبت الرسالة أثبتها لجميع الأمم، وعندما نفاها نفاها عن بعض الأقوام، والقوم أخص من الأمة.

– أن كتاب الله تعالى متناسق متوافق يصدق بعضه بعضا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 681/3.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 571.

– أن أهـل الفترة ومن في حكمهم يمتحنون على أصح أقوال أهل العلم من سلف الأمة.

– أن الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار، وقد جعل لكل شيء قدرا، وعلم سبحانه بخلقه أجمعين وأحاط علمه بهم وقد جعل سبحانه لكل شيء قدرا.

– أن الصم والبكم والشيوخ والمجانين والمعتوهين وكل من كـان على حـالهم ممن انغلق عليهم باب العلم والمعرفة من العقل أو السـمع أو غيره فهم في حكم أهـل الفترة ودلـت الأحـاديـث أنهم يمتحنون يوم القيامة.

– أن أطفال المسـلمين ومجانينهم يتبعون آبائهم، وأما أطفال غير المسـلمين ومجانينهم فيمتحنون يوم القيامة كما دلت على ذلك الأحاديث والأخبار.

ثبت المراجع:

1- ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو الضـحاك الشـيباني، **السنة**، الطبعة الأولى، بيروت، المكتب الإسلامي 1400هـ

2- ابن الأثير، أبو السـعادات مجد الدين بن الأثير،**النهـايـة في غريـب الحـديـث**، الطبعـة الأولى، بيروت، المكتبة الإسـلامية، 1383هـ-1963م، تحقيق طاهر أحمد الراوي، ومحمود محمد الطناجي

3- ابن القيم، **حاشـية ابن القيم على سـنن أبي داوود ضمن كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داوود**، محمد أشـرف بن أمير بن علي بن حيدر الصـديقي العظيم آبادي، الطبعـة الثـانيـة، بيروت، دار الكتـب العلمية، 1415هـ.

4- ابن القيم، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، الطبعة الأولى، الدمام، الرمادي للنشر، 1418هـ- 1997م.

5- ابن القيم، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، **مفتاح دار السـعادة**، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الحديث، 1414هـ-1994م، تحقيق سيد إبراهيم علي محمد.

6- ابن القيم، محمـد ابن قيم الجوزيـة،، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، الطبعة الأولى، المنصورة، مكتبة الإيمان،1417هـ-1996م، شرح وتحقيق أبي علي مسلم الحسيني

7- ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام النميري الحراني الدمشـقي، **درء تعارض العقل والنقل**، الطبعة الأولى، السـعودية، جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية، تحقيق محمد رشاد سالم، 1403هـ-1983م

8- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، **الجواب الصحيح على من بدل دين المسـيح**، ط.د، جدة – القاهرة، مكتبة المدني – مطبعة المدني، ت.د.

9- ابن تيمية، أحمـد بن عبـد الحليم بن عبـد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، **مجموع الفتاوى**، الطبعة الثالثة، مصـر، دار الوفاء، 1426هـ-2005م

10- ابن جرير الطبري، محمد بن جرير الطبري،، **جـامع البيـان في تأويـل القرآن**، ط.د، القـاهرة، دار الشـعـب، تحقيق أحمـد بن عبـد العليم البردوني، 1405 هـ

11- ابن حبان، محمد بن حبان الدارمي، **صحيح ابن حبان**، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسـة الرسالة،

1414هـ-1993م، تحقيق شعيب الأرنؤوط

12- ابن حجر، ابن حجر العسقلاني،1358-1939م،الإصابة في تمييز الصحابة، ط.د،مصر

13- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ط.د، طبع في حيدر آباد، 1325هـ.

14- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط.د، بيروت، دار المعرفة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.

15- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط.د،القاهرة، مكتبة الخانجي، ت.د.

16- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، 1358هـ-1939م،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مصر

17- ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، **المغني مع الشرح الكبير**، طبعة جديدة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1392هـ- 1972م

18- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي البصري، **تفسير القرآن العظيم**، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر 1408هـ-1988م

19- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل بن منظور، **لسان العرب**، ط. د، بيروت، دار صادر، 1414هـ

20- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)**، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي 1408هـ -1988م

21- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني**، ط.د، بيروت، دار الفكر، 1398هـ- 1978م.

22- الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، ط.د، مؤسسة قرطبة، ت.د

23- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار ابن كثير، 1407هـ-1987م، تحقيق مصطفى ديب البغا.

24- بركات، لطفي بركات، **تربية المعوقين في الوطن العربي**، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار الفكر، 1408هـ- 1988م.

25- البزار، أحمد بن عمرو البزار،، **مسند البزار**، الطبعة الأولى، بيروت – المدينة، مؤسسة علوم القرآن – مكتبة العلوم والحكم 1409هـ

26- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، **شرح السنة**، ط.د، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق علي محمد معوض، عادل عبد الموجود.

27- البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي،، **الاعتقاد**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1401هـ، تحقيق محمد عصام

28- الجبائي، ابن مالك عبد الله الجبائي، **إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى بمكة، مركز إحياء التراث الإسلامي،

1404هـ-1984م، تحقيق، سعد بن حمدان الغامدي

29- الجوهري، أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، الطبعة الثانية، جدة، مكتبة الوادي،1399هـ- 1979م

30- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، بيروت، الكتب العلمية 1411هـ-1990م

31- الحليمي، الحسين بن الحسن بن محمد البخاري الجرجاني الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، 1399هـ-1979م

32- حمدان، مروان حمدان، **رسالة الآيات والأحاديث الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم**، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى.

33- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، الطبعة التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

34- الراجحي وعمار، د. محمد الراجحي ود. عبد الرزاق عمار، **دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية**، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، تونس، 1982م.

35- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، الطبعة الثانية، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1413هـ- 1992م.

36- الزركلي، خير الدين محمود بن محمد الزركلي،، **الأعلام**، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الملايين 1980م

37- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، **جمع الجوامع**، طبعة الحلبي، مصر، ت.د.

38- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الطبعة التاسعة، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، 1418هـ- 1998م.

39- السيوطي ـــ جلال الدين السيوطي، **رسالة السبل الجلية**، الطبعة الأولى، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، ت.د

40- السيوطي، جلال الدين السيوطي،، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، 1403هـ- 1983م

41- الشنقيطي، محمد الأمين الجنكي الشنقيطي، **أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن**، ط.د، الرياض، المطابع الأهلية للأوفيست، 1403هـ-1983م.

42- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **فتح القدير**، ط.د، بيروت، دار المعارف، ت.د

43- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، الطبعة الثالثة، مصر، المكتبة الحسينية، 1344هـ.

44- القرآن الكريم.

45- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، الطبعة الأولى، الرياض، دار المنهاج، 1425هـ.

46- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، الطبعة الأولى، الرياض، دار المنهاج، 1425هـ.

47- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط.د، القاهرة، دار الشعب، 1372هـ.

48- القرطبي، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ط. د، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387 هـ، تحقيق مصطفى علوي.

49- محمد عبد العزيز، د. محمد كمال عبد العزيز، **انظر إعجاز القرآن في حواس الإنسان**، طبعة مكتبة القرآن، القاهرة، ت.د.

50- النووي، يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الطبعة الأولى، مصر، المطبعة المصرية بالأزهر، 1347هـ- 1929م.

51- الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط.د، القاهرة – بيروت، دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي هـ، 1407 هـ.

52- الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط.د، القاهرة – بيروت، دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي، 1407 هـ